كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

دور الامبراطورة زوي في سقوط الأسرة المقدونية (١٠٢٨-١٠٥٠م /٤١٩-٤٤٢هـ)

إعداد

د/ هويدا محمد أحمد بنيرة

مدرس بقسم التاريخ

كلية الآداب جامعة دمياط

(العدد الأربعون)

(الإصدار الأول ـ الجزء الخامس)

(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

دور الامبراطورة زوي في سقوط الأسرة المقدونية

(١٠٢٨-١٠٥٠م /٤١٩-٤٤٢هـ)

هويدا محمد أحمد بنيرة.
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمياط، مصر.
البريد : howaida@du.edu.eg

الملخص:

الإمبراطورة زوي(١٠٢٨-١٠٥٠م/٤١٩-٤٤٢هـ) هي الابنة الوسطى للإمبراطور البيزنطي قسنطنين الثامن (١٠٢٥-١٠٢٨م/٤١٥-٤١٩هـ) هي المسئولة الأولى عن انهيار وسقوط الأسرة المقدونية فقد وضعت السلطة في أيدى أباطرة ضعاف عجلوا بدورهم بنهاية الأسرة المقدونية فقد قدر لها أن تتزوج ثلاثة رجال وضعتهم بجانبها على العرش وهم رومانوس الثالث أرجيوس(١٠٢٨-١٠٣٤م/٤١٩-٤٢٥هـ)، وميخائيل الرابع البافلاجونى (١٠٣٤-١٠٤١م/٤٢٥-٤٣٣هـ)، ثم قسطنطين التاسع مونوماكوس (١٠٤١-١٠٥٦م/٤١٣-٤٤٧هـ)، وجعلت زوي السلطة العليا في أيدى هؤلاء الأباطرة وأقاربهم وأحياناً عشيقاتهم في نفس الوقت كانت هي المسيطرة على مسرح الأحداث فكلما حدث صدام بينها وبين أحد أزواجها تآمرت ضده وتخلصت منه فأوقعت البلاد في الفتن والمؤامرات وقامت الثورات واضطربت العاصمة فكان ذلك إيذانا بانهيار الأسرة المقدونية ولو أن زوي سلكت طريقاً غير هذا لتغير وجه التاريخ البيزنطي، فالسبب الأول في نهاية الأسرة المقدونية هو حكم الإمبرطورة زوي التي سلمت السلطة إلى عدد من أباطرة ضعاف بالرغم من الأخطار التي كانت تهدد الإمبراطورية البيزنطية التي كانت في حاجة ماسة إلى أباطرة أقوياء قادرين على إدارة دفة الحكم ولكن وجود أباطرة من النساء مثل زوي وأختها

ثيودورا التي اشتركت معها في الحكم (١٠٤٢-١٠٥٥م/٤٣٣-٤٤٦هـ) ثم انفردت بالحكم بعد وفاة الإمبراطورة زوي (١٠٥٥-١٠٥٦م/٤٤٦-٤٤٧هـ) كان النتيجة الأولى والحتمية لزوال الأسرة المقدونية.

الكلمات الافتتاحية:

الامبراطورة، زوي ، ثيودورا، الأسرة المقدونية، التاريخ البيزنطي.

Empress Zoe's role in the fall of the Macedonian dynasty (1028-1050 AD / 419-442 AH)

Howayda Mohamed Ahmed Benira

History Department, Faculty of Arts, Damietta University, Egypt.

Email: howaida@du.edu.eg

Abstract:

Empress Zoe (1028-1050 AD / 419-442 H) is the middle daughter of the Byzantine Emperor Constantine VIII (1025-1028 AD / 415-419 H). She is primarily responsible for the collapse and fall of the Macedonian family. She placed power in the hands of weak emperors who, in turn, hastened the end of the Macedonian dynasty. To marry three men she placed beside her on the throne, they are Romanos III Argyus (1028-1034 AD / 419-425 H), Michael IV the Pavilion (1034-1041 AD / 425-433 H), then Constantine IX Monomakus (1041-1056 AD / 413-447 H), and made Zoe, the supreme power in the hands of these emperors, their relatives, and sometimes their mistresses at the same time was the one in control of the scene of events. Whenever a clash occurred between her and one of her marriage, she conspired against him and got rid of him, plunging the country into strife and intrigues, and revolutions erupted and the capital was disturbed, so that signaled the collapse of the Macedonian family, even if Zoe took a different path. This is to change the face of Byzantine history, the first reason at the end of the Macedonian family was the rule of Empress Zoe, who handed over power to a number of weak emperors despite the dangers that were threatening the

Byzantine Empire, which was in dire need of powerful emperors capable. Yen has to run the helm of government, but the presence of female emperors like Zoe and her sister Theodora with whom she participated in the rule (1042-1055AD / 433-446H) and then she was alone in ruling after the death of Empress Zoe (1055-1056AD / 446-447H) was the first and inevitable result of the demise of the family Macedonian.

Keywords: The Empress, Zoe, Theodora, The Macedonian Dynasty, Byzantine History.

حكمت الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م/٢٥٣-٤٤٩هـ) نحو قرنين من الزمان، وجاء النصف الأول من عهدها بداية لعصر جديد من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية تميز بالقوة وبداية العظمة في كافة نواحي الحياة العسكرية والاقتصادية والحضارية، غير أنه بوفاة باسيل الثاني (٩٧٦-١٠٢٥م/٣٦٦-٤١٥هـ) بدأت شمس الإمبراطورية تميل نحو الغروب، ودخلت الأسرة المقدونية فترة اتسمت بالضعف والانحلال، وتحولت السلطة في بيزنطة منذ ذلك الوقت إلى النساء، وظلت على مدى نحو ثلاثين سنة في أيدي نساء وعشيقات سيطرن على أباطرة ضعاف مستهترين غير أكفاء وخيم على البلاط الإمبراطوري جو التآمر والفتن والتطاحن على السلطة مما تسبب في جلب الخراب على الدولة وزيادة ضعفها واضمحلالها، وعجل بانهيار الأسرة المقدونية ونهاية عهدها سنة (١٠٥٧م/٤٤٩هـ) (١).

وفي الحقيقة أنه بوفاة بازيل الثاني عام ١٠٢٥م/٤١٥هـ بات واضحا أن الدولة قد دخلت في نفق طويل مظلم مليء بالفوضى والثورات، والاضطراب

(1)Vasilievee,A.A,History Of The Byzantine Empire, Madison, 1952,VoL,I.,P308.

انظر أيضا: سيد الناصري، والروم والمشرق العربي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٢٤٥؛ عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٦٧م، ص١٢٤-١٢٧؛ حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م، ص١٦٢-١٦٣.

الاجتماعي والإفلاس الاقتصادي والضعف العسكري[١].

وتأتي بداية النهاية للدولة المقدونية باعتلاء قسطنطين الثامن[٢] عرش الإمبراطور البيزنطية، وقد اتسمت حياة هذا الإمبراطور بالدعة والعبث والمجون، وانصرف إلى جواريه ومغانيه ومباذله، وقرب إليه مجموعة من رفقاء السوء وزملاء اللهو والعبث، فكانت سنوات حكمه الثلاث (١٠٢٥-١٠٢٨م/٤١٥-٤١٨م) محنة

(١) يعد الإمبراطور بازيل الثاني (٩٧٦-١٠٢٥م/٣٦٦-٤١٥هـ) آخر الأباطرة العظام في عهد الأسرة المقدونية، فقد نجح في تسيير دفة الحكم بحكمة واقتدار، وحقق انتصارات باهرة على أعدائه داخل وخارج الإمبراطورية، ولمزيد من المعلومات عن حكم الإمبراطور بازيل الثاني.

Ostrogrosky, G.,History Of The Byzantine States Trans.,By Joan Hussey,Oxford 1956,pp280-283,Vasillieve,A.A,The Byzantine Empire, Madison 1953,P.308

(٢) هو قسطنطين الثامن (١٠٢٥-١٠٥٨م/٤١٥-٤٥٠هـ)هو الابن الثاني لرومانوس الثاني (٩٥٩-٩٦٣م/٣٤٨-٣٥٢هـ) وشقيق بازيل الثاني (٩٧٦-١٠٥٢م/٣٦٦-٤١٥هـ) كان قسيما وشريكا له في الحكم لمدة نحو نصف قرن من الزمان ويبدو أن قسطنطين رضي عن طيب خاطر أن يحيا حياة الظل في هذه الفترة الطويلة لملائمة ذلك مع طبعه وخلقه وحياته العابثة التي كان يحياها انظر:

أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة دكتور مصطفى بدر، القاهرة، ١٩٥٣م، ص١٩١.

Vasilieve,A.A.,Op.Cit,p.284.

حقيقية مرت بها الإمبراطورية غير أن هذه المحنة لم تنته بوفاة الإمبراطور قسطنطين الثامن[١]

وفي الحقيقة لم يلتفت هذا الإمبراطور العجوز إلى مشكلة وراثة العرش إلا وهو على فراش الموت، فلم يكن قد أنجب ولدا ذكرا، وإنما كان له ثلاث بنات، الابنة الكبرى واسمها" يودكيا" Eduocia وهذه ليس لدينا معلومات كثيرة عنها فقد أصيبت في طفولتها بمرض الجدري الذي شوه جمالها، وأبعدها عن الحياة العامة، فسلكت طريق الرهبنة إلى أن توفيت في حياة والدها[٢]

أما البنة الوسطى فهي زوى Zoe وكانت على قدر كبير من الجمال يشهد بذلك المؤرخون المعاصرون لها خاصة المؤرخ بسيلليوس[٣]، الذي يذكر أنها كانت

(1)Psellus,M..,Fourteen Byzantine Ruulers,The Chronographia,Trans., By E.R.,Sewter New York Penguine, 1966,pp.34-36

(2) Ibid,P. 84.

(٣) هو ميخائيل بسيلليوس (١٠١٧-١٠٧٨م / ٤٠٨-٤٧١هـ) ولد عام ١٠١٧ أو ١٠١٨م في القسطنطينية اسمه قسطنطين وميخائيل هو الاسم الذي اختاره عندما التحق بسلك الرهبنة، واسمه يشير إلى أنه كان يعانى من عيب في الكلام فبسيللوس معناها المتلعثم Psellos، تلقى تعليمه في القسطنطينية ثم تم إرساله خارج القسطنطينية حيث عمل سكرتيراً لأحد القضاة وترقى بعد ذلك في المناصب حتى أصبح قاضيا عاما١٠٤٢م/٤٣٤هـ وعمل سكرتيراً في البلاط الإمبراطوري ثم مستشارا سياسيا للإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس وكان مقرباً من الإمبراطورة زوي وأختها وثيودورا وفي نفس الوقت كان أستاذا في الجامعة القسطنطينية وحمل لقب "رئيس الفلاسفة" وله العديد من المؤلفات أشهرها "الكرونوجرافيا" ويؤرخ فيه لتاريخ أربعة عشر إمبراطورا استمر حكمهم أكثر من نصف قرن من الزمان ابتداء من حكم بازيل الثاني وحتى عهد ميخائيل السابع (١٠٧١-١٠٧٨م/٤٦٤-١٠٧١هـ وقد نظم كتابه على شكل سلسلة من السير الذاتية لهؤلاء الأباطرة وهو يركز على وصف الشخصيات أكثر من تفصيل الأحداث السياسية والعسكرية ولا يخلو من الاستطراد والوصف والإطالة أحيانا وله مؤلفات أخرى مثل Historia Syntoma ، وهو نص تاريخي قصير كذلك له مؤلفات كثيرة في الطب والفلك والفلسفة والبلاغة.

ذات جمال باهر طموحة وساذجة، تعتقد بشدة في كلام العرافين، والمشعوذين، كما أنها كانت تتصف بالشهوانية والتهور والتبذير، وتفتقد إلى الاتزان والوقار مع الجهل بأمور الحكم والسياسة، ولا شك أن ذلك كان يعتبر السبب الأول لما أصاب الإمبراطورية من إنهيار، وعجل بالقضاء على الأسرة المقدونية، أما الابنة الصغرى فهي ثيودورا"Theodora فقد كانت طويلة مثل والدها، ذات لسان منطلق، ولم تكن جميلة مثل أختها الوسطى(١)، وهكذا كانت ابنتا قسطنطين الثامن وهما زوى وثيودورا آخر أعضاء الأسرة المقدونية، وعليه فقد قدر لهما أن تلعبا دورا مهما في التاريخ البيزنطي إلا أنهما خلال السنوات التالية بسبب عدم امتلاكهما قدرات الحكم والسياسة فقد أدارتا دفة الدولة وفقاً لعواطفهما، وأهوائهما فأعدمتا مصير الإمبراطورية التي كانت آخذة وقتذاك في الانهيار بل اشتركتا في الحكم معا منذ عام ١٠٤٢م/٤٣٣هـ وكانت هي الحالة الفريدة والوحيدة التي تتقاسم فيها امرأتان الحكم الأوتوقراطى المطلق في الإمبراطورية البيزنطية(٢)، مما أوقع البلاد في الفتن والدسائس والمؤامرات.

على آية حال لقد انتبه الإمبراطور العجوز قسطنطين الثامن وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أن ابنتيه زوى وثيودورا لم تتزوجا بعد، وأن الأولى تجاوزت سن الأربعين، وأن عليه أن يسارع بتزويجها قبل أن يتوفى

(١) علية عبد السميع الجنزوري: المرأة في الحضارة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١١١. انظر أيضا :"

Ostrogrosky,G,Op,Cit,p.284

(٢) رانسيمان (ستيفن): الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد ومراجعة زكي بدر، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٧٤.

وهنا نتوقف قليلا لنتساءل عن سر بقاء زوى دون زواج حتى هذه السن، رغم جمالها وأناقتها وحسن مظهرها، في الحقيقة كانت زوى مخطوبة للإمبراطور الغربي الشاب أوتو الثالث[١] وعندما توجهت إلى مدينة بارى بإيطاليا في يناير سنة ١٠٠٢م/٣٩٢هـ للقاء خطيبها وإتمام الزفاف فوجئت بوفاته وهو في ريعان شبابه، ومنذ ذلك الوقت فشلت كل المحاولات لتزويج تلك الأميرة حتى عام ١٠٢٨م/٤١٩هـ ووالدها على فراش الموت وقد اقتربت هي من سن الخمسين فكان عليها أن تتزوج، وفي خلال الأربعة عشر عاما التي تلت قدر لها أن تتزوج ثلاث زيجات، وقيل أن أيا من أزواجها الثلاثة لم يحظ باحترامها أو تقديرها، كما أنها لم تكن تتمتع بأي خبرة أو موهبة سياسية أو مقدرة على الحكم والإدارة، وإن انفردت بميزة خاصة ألا وهي أنها الوريثة الشرعية للبيت المقدوني، وصاحبة الحق الشرعي في الكرسى الإمبراطورى وهكذا دارت حولها محور الحياة السياسية في الإمبراطورية، وعلى يديها كتبت نهاية الأسرة المقدونية

أما أول أزواجها الذي اختاره لها أبوها فكان رومانوس أرجيروس Romanus Argirus[٢] محافظ العاصمة وكان رومانوس رجلاً في الستين من

(١) أوتو الثالث (٩٩٦-١٠٠٢م/٣٨٩-٣٩٢هـ) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة وهو الابن الوحيد = للإمبراطور أوتو الثاني وزوجته ثيوفاني أصيب بحمى الملاريا في يناير عام ١٠٠٢م/٣٩٢هـ، وتوفى فجأة عن عمر يناهز ٢١ عاماً دون أن يتزوج. انظر:

Chisholm,Hugh,OttoIIIEncyclopaediaBritannica,CambridgeUniversity, Press,1911,Bryce,james,The Holy Roman Emprie,London,1913.

(2) Ostrogrosky.,G.,Op.cit.,p.284,Vasilieve,A.A.op.,cit.,vol,I,p.308.

عمره، ومتزوجا بالفعل وسعيدا في زواجه، إلا أن الإمبراطور قسطنطين الثامن أرغمه على أن يطلق زوجته الأولى التي لجأت إلى أحد الأديرة حيث ماتت سنة ١٠٣٢م/٤٢٣هـ وبارك البطريرك الكسيوس الأستودى (١٠٢٥-١٠٤٣م/٤١٥-٤٣٥هـ) هذا الزواج لما يعود به بالنفع على الإمبراطورية ويعصمها من الوقوع في برائن زوى وحدها بدون رجل يرشدها إلى طريق الصلاح ويأخذ بيدها إلى الطريق السليم ويحول دون وقوع أزمة سياسية(١)

وفي ١٥ نوفمبر ١٠٢٨ م /٤١٩هـ تم زواج زوي برومانوس ولم يكد قد مضى على هذا الزواج سوى ثلاثة أيام حتى توفى قسطنطين الثامن(٢)، فأعتلى رومانوس العرش تحت اسم رومانوس الثالث أرجيروس (١٠٢٨-١٠٣٤م/٤١٩-٤٢٥هـ) Romanus III Argirus وحاول رومانوس الثالث أن يؤسس أسرة حاكمة في القسطنطينية، واعتقد أنه يستطيع تحقيق ذلك إذا حقق انتصارات باهرة على أعداء الإمبراطورية في الشرق والغرب، وتمكن من استعادة أملاك الإمبراطورية البيزنطية القديمة، غير أنه فشل في ذلك وأضاع سنوات حكمه الست في الإعداد لحملات فاشلة ومعارك خاسرة وهزائم متتالية، مما قاد الإمبراطورية إلى كارثة مروعة ومحنة حقيقية خلال عصر هذا الإمبراطور(٣).

---

(١) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٧٢٢.

(٢) توفي قسطنطين الثامن يوم ١٨ نوفمبر ١٠٢٨م/٤١٩هـ انظر: ابن الأثير:الكامل في التاريخ، دار الفكر بيروت، ١٩٦٦م، ج٩، ص٣٧، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، بيروت، ١٩٨٠م، ص٤٠٠.انظر أيضا:

Psellus.M.,Op.Cit.,P.39.

(٣) هزم رومانوس الثالث هزيمة ساحقة بالقرب من حلب سنة (١٠٣٠م/٤٢١هـ)، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق د. سامي الدهان، دمشق، ١٩٥١م، ج١، ص٢٤١.

بالإضافة إلى أنه استن سياسة اقتصادية سيئة، فأثقل كاهل الكنيسة والفقراء بالضرائب مع إعفاء الأغنياء والنبلاء من هذه الضرائب[١]، فأخذ اقتصاد بيزنطة في الضعف والتداعي في الوقت الذي بدأت فيه قوتها العسكرية في الاضمحلال، مع ما صاحب ذلك من انتشار المجاعات والأوبئة، وحدوث زلزال عنيف في القسطنطينية خرب شطراً كبيرا منها[٢]

أما إذا تتبعنا علاقة الإمبراطور رومانوس بزوجته الإمبراطورة زوى نجد أنه منذ اللحظة الأولى لزواجهما، ولسنوات عديدة، وجد حاجزًا واضحًا بين الزوجين فما كاد رومانوس يعتلى العرش حتى دب الخلاف والشقاق بينهما وذلك لعدة أسباب، منها ما يرجع إلى اختلاف شخصياتهما، فقد كانت زوى إمرأة تتمتع بذكاء خارق وجمال بارع، وتقضى وقتها في المتعة واللهو، أما رومانوس فقد اتسمت شخصيته بالعنف، وقلة العزم والذكاء، وعدم القدرة على مواجهة سطوة زوجته، التي يبدو أنه لم يكن يتمتع بحبها وهي التي اعتادت على حياة الحرية، وقضت سنوات شبابها في اللهو والعبث والفجور، تاركا لها والدها الإمبراطور قسطنطين

(١) شهد القرن العاشر الميلادي نمو نفوذ الطبقة الإقطاعية واتساع الأراضى التي تمتلكها هذه الطبقة وازدياد عبء الضرائب على الفلاحين ونظرا لأن رومانوس الثالث كان ينتسب إلى الطبقة الاستقراطية فقام بإلغاء الضرائب التي كانت مفروضة عليهم، فصار لهم حق التوسع في امتلاك الأراضى وترتب على ذلك أن بدأت الملكيات الصغيرة في الاختفاء واستولى كبار الملاك على أراضى الفلاحين

Ostrogorosky,pp.285-286,Grousel(R),L,Empire du levant, paris,1940,P127

(٢) جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص١٨٥-١٨٦.

الثامن الحرية، فلم تطق قيود الزواج، ولم يستطع الزوج أن يوقفها عند حدودها، فتركها وشأنها فاختارت هي لنفسها حياة السوء التي كانت غارقة فيها في حياة أبيها، ويذكر المؤرخون أن الإمبراطور بدأ يضيق من سطوة زوجته ذات الخامسة والأربعين عاما فأهملها، خاصة بعدما فقد الأمل في إنجاب طفل يخلفه في وراثة العرش[١] فاعتزلها، وضن عليها بما تبغيه من المال وأثارت تصرفاته هذه غيظ الإمبراطورة زوى، وبدأ تشعر تجاهه بالبغض والكراهية

وهناك من المؤرخين من يذكر أنه حاول الانفراد بالحكم، وتأسيس سلالة حاكمة جديدة في أسرته، فأبعد زوى عن السلطة والحياة العامة، وضيق عليها، وطلب من أخته بلوخاريا Pulcheria ملازمتها وفرض رقابة صارمة عليها لإبعادها عن سدة الحكم، فعلمت زوي- وهي المرأة الماكرة العنيده المتقلبة الممتلئة غرورا وعنادا- ما يدبره زوجها، وما يضمره من رغبة في إقصائها عن شئون الحكم والسياسة، ليؤسس لنفسه أسرة جديدة تتولى وراثة العرش بعيدا عنها، فامتلأت حقدا على زوجها، ولم تكن تعوزها الحيلة فدبرت مؤامرة للتخلص منه، ووجدت أداتها للإنتقام في شخص شاب جميل وسيم الطلعة اسمه ميخائيل

(١) كان الإمبراطور رومانوس الثالث يتطلع إلى أن يؤسس لنفسه أسرة حاكمة من سلالته وكان يأمل في أن تنجب زوي، إلا أنها كانت في الخمسين من عمرها عندما تزوجها وفشلت محاولاته لعلاجها سواء بالطب أو بالسحر وأخيرا أصابه اليأس وقل اهتمامه بها انظر:

Pesllus,M.,Op.Cit.,P48.

البافلاجونى[١] Michael The paphlagonian وكان الأخير شاباً في الثامنة والعشرين من عمره ومن موظفى القصر الإمبراطوري فأوقعته الإمبراطورة المسنة في شباكها، وأوهمته بحبها، واتخذته عشيقا لها منذ سنة١٠٣٣م/٤٢٥هـ واتفقت معه على التخلص من زوجها.

واختلفت المصادر في الطريقة التي تخلصت بها زوى من زوجها، فمنهم من يذكر أنه ربما مات مسموما بيد زوى وعشيقها وذلك عندما غفلت عينا بولخاريا عنها بعض الوقت وهي التي حذرته منها كثيرا ، بينما يذكر البعض أنه مات مخنوقا في الحمام[٢]

وعلى آية حال فقد تخلصت زوى من زوجها الأول الإمبراطور رومانوس الثالث أرجيروس الذي وجد مقتولا في ١١ أبريل عام ١٠٣٤م/٤٢٥هـ[٣]. وفي

---

(1) Ibid,PP49-50,Jenkins,R.,Op.,Cit.,p.341,Ostrogrosky,G.,Op.,Cit.,PP.286-287,Vasillieve,A.A.,Op.,Cit.,Vol,I.,P308.

(٢) يرجح المؤرخ بسيللليوس أن زوي كان تدس لزوجها مواد مخدرة باستمرار بدون علمه حتى اعتاد عليها ونحل جسمه وفقد شهيته وتورم وجهه في أواخر أيامه ويؤكد على أن زوي وميخائيل البافلاجونى كانا سببا في وفاة الإمبراطور بينما يذكر المؤرخ كادريانوس أن زوي كانت تضع لزوجها السم في الطعام باستمرار انظر:

Psellus M.,Op.,Cit.,P.52,Cedrinus, Regnna ed.Lachmann,1834.,P.505

(٣) بمجرد علمها بوفاة الإمبراطور رومانوس الثالث سارعت زوى بتولى مقاليد الحكم باعتبارها الوريث الشرعى وكان كل همها هو تسليم العرش لعشيقها ميخائيل ولم تستمع لنصيحة بعض رجال البلاط الذين أشاروا عليها بالتريث قليلاً وفي نفس اليوم الذي كانت تقام فيه مراسم تتويج الإمبراطور البافلاجونى كان يتم فيه تحضير مراسم جنازة الإمبراطور رومانوس الثالث انظر:.

Psellus M.,Op.,Cit.,P.52,Cedrinus,Op.,Cit.,P.505

اليوم التالي لمقتله، تزوجت زوى من عشيقها الشاب ميخائيل البافلاجونى الذي توج تحت اسم ميخائيل الرابع (١٠٣٤-١٠٤١م/٤٢٥-٤٣٣هـ) [١]، ونجحت زوى في تنفيذ خطتها وانتصرت في معركتها أمام رومانوس الثالث وأوصلت حبيبها وشريكها في الجريمة وزوجها الثاني ميخائيل البلافاجونى إلى العرش وجعلته شريكا وقسيما لها في الحكم، وجلست بجانبه على العرش ترتدى نفس الرداء الأرجوانى الذي كانت ترتديه من قبل وهي جالسة إلى جانب زوجها الأول رومانوس الثالث، أما الزوج الجديد فقد كان يجلس بجانبها يغمرها بعينيه التي تمتلىء حبا وحنانا غير أن هذه النظرة لم تدم طويلا فسرعان ما انطفىء لهيب الحب[٢].

في الحقيقة لم يكن ميخائيل الرابع يحب زوى حقا فقد كانت تجاوزت سن الشباب وإنما كان يفكر في المجد الذي سوف يحققه لنفسه إذا أجلسته على العرش بجانبها وربما كان يخدعها منذ البداية ويوهمها بحبه حتى يصل إلى غايته والدليل على ذلك أنه بمجرد اعتلائه العرش تغيرت شخصيته تماما وأظهر نكران الجميل وهكذا أخطات زوى تقدير الأمور مرة أخرى،فما أن تزوجها ميخائيل حتى أهمل الاهتمام بها كلية، وقيد حريتها الشخصية وتحركاتها ووضعها تحت رقابة شديدة، وأصبح يشك في سلوكها بل أمر بحبسها داخل القصر، مع عدم

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٠م، ص٤٣٨، القلقشندى: صبح الأعشي في صناعة الإنشا، ج٥، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٤٠٠. انظر أيضا:

Psellus,Op.,Cit.,P58, Vasilieve,A.,A.,OP.,Cit.,Vol.,p.308

(2) Ibid,M.,OP.,Cit.,p59

السماح لها بمغادرة الجناح الخاص بها، أو السماح لأحد بزيارتها فتحول غرامها بالإمبراطور إلى كراهية[١]..

وفي الحقيقة لقد تولى ميخائيل الرابع العرش وهو معذب الضمير، فقد كانت الألسنة لا تكف عن الخوض في سيرته، وكانت أصابع الاتهام تشير دائما إلى ضلوعه مع الإمبراطورة في جريمة القصر، والتي راح ضحيتها الإمبراطور السابق، ولهذا كان الإحساس بالذنب يقتله ويكاد يطيح بعقله، فضلا عن نوبات الصرع التي كانت تنتابه من حين لآخر، لذا فقد أولى ظهره لزوجته، وكرس نفسه للورع والتقوى وكسب رضاء الرهبان، إذ تجمع حوله طائفة منهم يقيمون معه في القصر ويرشدونه لأعمال البر والتقوى، وراح يتوخى في معاملاته العدل والطهارة وأعلن على الملأ انفصاله جسديا عن زوجته، خوفا من أن تدبر له أمرا، كما فعلت مع زوجها الأول[٢].

فماذا كان موقف الإمبراطورة زوي من جراء هذه المعاملة؟ نجد أن زوي لم تجد بداً من الاستسلام لرغبة زوجها الثاني، والرضوخ لأوامره، وهي التي رفعته على العرش، فلم تحاول تذكير الإمبراطور بغرامه القديم لها حتى أنها لم تعترض على المعاملة السيئة التي لقيتها منه ومن إخوته الذين امتلىء بهم القصر، والذين كانوا يهددونها باستمرار، فهي كما يذكر المؤرخ بسيلليوس – لم تنظر إليهم بمرارة عندما كانوا يقتمحون عليها جناحها الملكي، ولم تكن تأمر بطردهم،

(١) علية عبد السميع الجنزوري، المرأة في الحضارة البيزنطية ، ط١، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١١٨.

(٢) سيد الناصري: الروم تاريخهم وحضاراتهم وعلاقاتهم بالمشرق العربي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٣٤٩.

بل على العكس عاملتهم بكل لطف واحترام، وإزاء هذه المعاملة الطيبة من ناحيتها، ازداد خوفهم وحذرهم منها، فقد كانت تشكل حاجزا وعقبة، أمامهم تمنعهم من الاستحواذ على السلطة، والانفراد بالعرش فأمعنوا في إذلالها مع فرض رقابة صارمة عليها، الوقت الذي امتنع فيه الإمبراطور عن رؤيتها تماما[١].

وهناك عدة أسباب – كما يرى المؤرخ بسيلليوس- أدت إلى استحالة العلاقة الزوجية بين الإمبراطورين فقد ازدادت نوبات الصرع على الإمبراطور ميخائيل الرابع مما أدى إلى اعتلال صحته، ونحول جسده بالإضافة إلى شعوره بالذنب والآثام التي ارتكبها كلما نظر إلى زوي، وهي التي كانت تذكره دائما بالجريمة التي ارتكبها ضد سيده السابق الإمبراطور رومانوس الثالث بالإضافة إلى خشيته الدائمة من محاولة زوي التآمر عليه وقتله كما فعلت مع زوجها الأول[٢].

والحقيقة كان المستفيد من هذه الزيجة هو الطواشي حنا المعروف باسم أوفانوتروفرس John Ophanotrophos شقيق الإمبراطور ميخائيل الرابع الذي قام بإدارة شئون الحكم، ونجح في هذه المهمة نجاحاً تامًا فقد خطط بدهاء لضمان بقاء استمرار الحكم في أسرتهم حتى بعد وفاة أخيه المرتقبة لذا فقد اقترح على ميخائيل أن يتخذ قسيما له في الحكم شابا في مقتبل العمر وهو ابن أختهما ماري، واسمه ميخائيل أيضا، ونجح في إقناع زوي أن تتبناه وتتخذه ولدا[٣]،ولم تعارض زوى هذا الاقتراح بالرغم من المعاملة السيئة التي لقيتها على يد هذين

(1) Psellus,M.Op.,Cit.,p.64

(2) Ibid;Op.,Cit.,PP.64-65,Ostrogrosky,G.,Op.,Cit.,P.287

(3)Pselluis,M.,Op.Cits,PP.66-67;Ostrogrosky,G.,OP,Cit.,p.287,Vasilies A.,A.,Op.,Cit.,Vol.,IV,P.108,Cambridge,Medieval.,History, Vol.,IV,the Byzantine Empire,,Enland,1923,p. 103

الأخوين، وربما وجدتها فرصة للخروج من عزلتها المفروضة عليها، والعودة مرة أخرى إلى معترك الحياة العامة، والظهور من جديد على مسرح الأحداث بعد أن غابت سنينا طوال ، لذا فقد قبلت خطة الطواشي حنا، وجرت الاحتفالات بالقسطنطينية، وتمت المناداة بميخائيل الخامس المعروف باسم الجلفاط Caliphate's[١] قيصرا، واتخاذه ولدا للزوجين ميخائيل الرابع وزوي[٢]

في نفس الوقت الذي اشتدت فيه نوبات الصرع بالإمبراطور فانصرف عن ملذات الحياة وصرف اهتمامه إلي بذل الصدقات وأعمال البر، مبتعدا تماما عن زوجته زوي ولم يمضي وقت طويل حتى قضى الإمبراطور نحبه يوم ١٠ ديسمبر ١٠٤١م/٤٣٣هـ[٣]

والواقع أن ظروف موته شابها الغموض فقد توفى الإمبراطور فجأة دون أن يكمل عامه السادس والثلاثين وربما يكون قد توفى مسموما أيضا بتحريض من زوجته زوي التي كانت تسعي للحصول على حريتها، والعودة إلى حياتها اللاهية المنطلقة والتخلص من الأغلال والقيود التي كبلها بها زوجها، بعد أن سئمت من تمثيل دور الزوجة المستسلمة المطيعة الخانعة التي ترضخ لرغبات زوجها وعائلته والتي تمكث في دور الحريم لا تغادره إلا بأمر من زوجها، وهو دور لا يتناسب على الإطلاق مع طبيعتها العابثة التي كانت تفتقر إلى الاتزان والوقار.

---

(١) الجلفاط: هو الذي يسد شقوق السفينة نسبة إلى الحرفة التي كان يعمل بها أبوه انظر:
The New Encyclopedia Britannica,Vol,V1,London,1986,pp.857-858

(٢) Pselluis,M.,Op.,Cit.,PP.68-70

(٣)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩م، ص٤٩٩؛ أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة، ١٩٥٣م، ص١٩٣.

على آية حال فبمجرد وفاة ميخائيل الرابع خولت سلطات الحكم بالوراثة إلى ابن أخته الذي توج باسم ميخائيل الخامس (١٠٤١-١٠٤٢م/٤٣٣-٤٣٤هـ)[١]

وبوفاة الإمبراطور ميخائيل الرابع أصبحت زوي العجوز أرملة للمرة الثانية، ولم يتحقق ما كان يأمله حنا من مشروع التبني، فقد كان الإمبراطور الجديد ناكرا للجميل حتى مع خاله حنا الذي كان سبباً في وصوله إلى العرش، إذ لم يكد يعتلى العرش حتى أمر بنفي خاله حنا إلى دير مونو باتاي [٢] Monobatai وازداد اندفاع ميخائيل الخامس أكثر محاولا التخلص من الإمبراطورة زوي وإقصائها عن العرش، والانفراد بالحكم بعيدا عن سطوتها، فأخذ يضيق عليها ووجدها – على حد تعبير المؤرخ بسيلليوس- "مصدر ازعاج ممل له" فأمرها أن تلزم مسكنها في القصر الإمبراطوري لا تغادره إلا بإذن منه، و عاملها كما لو كانت أسيرة له، ثم اتبع ذلك بمحاولة رادعة لإبعادها عن حقل السياسة بعد اتهامها بمحاولة دس السم له، وقام بمحاكمتها محاكمة صورية وأمر بحلق شعرها ونفيها[٣]

---

(١) عن اعتلاء ميخائيل الخامس العرش البيزنطي، انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج٩، ص٤٩٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٠٠.

Psellus,,M.,Op.,Cit.,p.68.Jennkins,R.,Op.,Cit.,p.344;Vasiiliev,A.,A., Op.,Cit.,Vol,L,I,p308 Camb.,Med,Hist.,Vol.,IV,P.198

(٢) يقع هذا الدير في مكان ناءٍ عن العاصمة البيزنطية، انظر: السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص٧٣٥ انظر أيضا: سيد الناصري: المرجع السابق، ص٣٤٩-٣٥٠

(٣) Psellus,M..,Op.,Cit.,PP.94-97,Ostrogrosky,G.,Op.,Cit.,p.288 محمد محمد مرسي الشيخ، الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص٩٤؛ أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٣.

وفي يوم عيد الفصح عام ١٠٤٢م/٤٣٣هـ نفيت زوي إلى جزيرة برنسيبو في بحر مرمرة وغادرت القصر الإمبراطوري في طريقها إلى منفاها ولم تكن في صحبتها سوى وصيفة واحدة[١]

وظن ميخائيل الخامس أنه ارتاح من زوي ولكنه كان مخطئا في تقديره، إذ مهما قيل في زوي ومساوئها فلم ينس الشعب أنها سليلة البيت المقدوني الذي أدى بعض أباطرته خدمات جليلة للشعب البيزنطي، ورفعوا من شأن الإمبراطورية وهيبتها- كما أنها الوارثة الشرعية للعرش في نظر الشعب والرعايا[٢] أما ميخائيل

(١) يصف لنا المؤرخ بسيلليوس- وكان شاهد عيان للأحداث- مشاعر الإمبراطورة زوي عندما ركبت السفينة إلى منفاها وقد أمتلأت عيناها بالدموع وأخذت تنظر إلى القصر الذي ولدت وعاشت فيه طوال عمرها وتذكرت أجدادها الأباطرة العظماء من سلالة البيت المقدوني، وبعد وصولها إلى منفاها تخلصت من حالة اليأس وشكرت الله أنها لا تزال على قيد الحياة فقد كانت تتوقع أن يقتلها الإمبراطور بعد أن اتهمها بالتآمر على حياته وعقد لها محاكمة صورية في مجلس الشيوخ انظر:

Psellus,M.,OP.,Cit.,p.69

(٢) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٣.

(٢) ويصف لنا بسيلليوس هذه الثورة بالتفصيل فيقول " كنت أنا باسيلليوس أقف أمام مدخل القصر حيث كنت أعمل سكرتيرا للإمبراطور فقد اندفع الجميع وخرجت النساء إلى الشوارع والطرقات وكن يصرخن في حسرة وألم على مصير الإمبراطورة زوى وخرج جميع الرجال مسلحين فمنهم من يمسك بيده فاسأ أو سيفاً من الحديد أو قوساً أورمحًا والكثير منهم كانوا يحملون الأحجار وجرى الجميع في الشوارع يحرقون ويخربون أما الإمبراطور فجلس في القصر فكان كل همه إنهاء هذه الثورة وكان مضطربا في حيره من أمره بعد أن أصبح محاصرا في قصره وأدرك أنه سيموت لا محاله وقرر استدعاء الإمبراطورة من المنفى في الحال انظر

Psellus,M.,Op.,Cit.,PP.99-102

الخامس فقد كان في نظر المعاصرين له مجرد مغامر وليس من سلالة البيت المقدوني[١]، فقد رأوا أن موقف ميخائيل الخامس من زوي اعتداء على مبدأ الوراثة الشرعي الذي ارتضاه الجميع، وساروا عليه منذ أيام بازيل الأول، لذا في ١٩ أبريل عام ١٠٤٢م/٤٣٣هـ قامت ثورة في القسطنطينية تنادي بسقوط ميخائيل الخامس والإفراج عن زوي وإعادتها، واندفعت المظاهرات نحو القصر الإمبراطوري[٢]

وهكذا قامت ثورة عارمة في القسطنطينية ولم يكن قد مضى عام على اعتلاء ميخائيل الخامس العرش، والذي سارع- عند اشتداد الثورة – بإحضار زوي من منفاها متظاهرا بالنزول على رغبة الجماهير إلا أنه لم يكن من السهل إخماد الثورة التي تمادت في مطالبها ونادى المتظاهرون بعزل ميخائيل الخامس من منصبه، في نفس الوقت الذي اتجه فيه الثائرون إلى الأخت الصغرى لزوي " ثيودورا"[٣] والتي كانت معتكفة في أحد الأديرة، فأتوا بها ونادوا بها لتكون شريكة

(١) نفى إلى جزيرة Mytilene، وتقع على الحافة الجنوبية الشرقية لجزيرة ليسبوس شمال بحر إيجه انظر:

(Psellus,M.,Op.,Cit.,PP.99-102;Jenikins,R.,Op.,Cit.,P.344-

Camb.,Med.Hist.,Vol.,IV,P.198;Ostrogrosky,G.,Op.,Cit.,P.288

(٣) ثيودورا: هي الأخت الصغرى لزوى ولدت عام ٩٨٤م/٣٧٤هـ، وكتبت على يديها نهاية الأسرة المقدونية.

مع أختها زوي في حكم البلاد[١] بينما لاذ ميخائيل الخامس بمذبح إحدى الكنائس، ولكن هذا لم يجد به نفعاً، فقد اقتحم الثوار الكنيسة وأجبروه على ترك مذبح الكنيسة، ثم ألقوا القبض عليه، وسملوا عينيه في أبريل عام ١٠٤٢م/٤٣٣هـ، وكان من الطبيعي أن تنتقم منه زوي وتثأر لكرامتها الجريحة فأمرت بعد ذلك بنفيه من العاصمة في الحادي والعشرين من أبريل من العام نفسه، وانتهى بذلك عهد الإمبراطور، وأصبحت زوي مرة أخرى على رأس الإمبراطورية، وإن كانت أختها ثيودورا شريكة لها في الحكم هذه المرة، وهكذا أعادت الجماهير الغاضبة في عام ١٠٤٢م/٤٣٣هـ زوي وشقيقتها ثيودورا إلى العرش، بعد أن تم تتويجهما معاً في كنيسة القديسة آيا صوفيا[٢]

وأصبحت الشقيقتان تواجهان إحداهما الأخرى، ولكل منهما أنصار يشدون من أزرهما، كانت زوي هي الأخت الكبرى، وظن كثير من الناس أنها تدخر من القدرة والكفاية ما يعينها على الاضطلاع بأمور الإمبراطورية، ما لم يتوافر لدى ثيودورا التي لم تغادر الدير إلا منذ زمن وجيز، فتوافر عند زوي من المبررات ما يجعلها تطالب بالنصيب الأكبر من الحكم والسلطان، أما ثيودورا فامتازت عن

---

(١) في الحقيقة كان الشعب يقدس الإمبراطورة زوى، وأخذ يهتف عند خروجها إلى شرفة القصر" أهلاً، بالأوغسطة المنتقاه من الله، أهلاً بالأوغسطة المحمية من الله، أهلا بالتي ترتدى الأرجوان أهلا بمحبوبة الله

انظر: أسد رستم: الروم سياستهم ودينهم وثقافتهم، القاهرة، ٢٠١٧م، ص١٠٥.

Bury,Byzantinee Texts,Vol,II,London,1968,P.204

(2) Psellus,M.,Op.,Cit.,PP103-

106;Ostrogrosky,G.,Op.,Cit.,P.289;Vasilieve,A.,

A.,Op.,Cit.,Vol,I,P.308.

أختها أنها أصغر سنا منها، كما أنها لم يسبق لها الزواج مثل زوي التي تزوجت مرتين، فلم تتعرض لما تعرضت له أختها الكبرى من مشكلات واضطرابات(١).

وكيفما كان الأمر، فلا بد من أن تشترك الاثنتان في الحكم(٢)، كما أن الحكومة التي صارت بأيدي سيدتين عجوزتين لقيت التأييد من الجماهير، لأن حقهما الشرعي في الحكم يعتبر أمراً مسلماً به عند جميع الرعايا، ولم يحدث تغيير في إدارة الدولة، أو في هيئة الموظفين الذين يشغلون المناصب العليا فيما عدا ما تعلق بأسرة ميخائيل الخامس وبقاياها والذين تقرر حرمانهم من الوظائف التي كانوا يشغلونها فتولت الأختان رئاسة المجالس التي اختص بإدارتها كبار الوزراء، وبسطتا أيديهما في الإغداق على الناس، بالأموال والعطايا والتشاريف وأصدرتا قوانين لمنع التلاعب في الوظائف القضائية، فجرت مراعاة المصلحة العامة في شغل الوظائف، ومع ذلك لم تستمر هذه الحكومة وقتا طويلا إذ أن الإمبراطورتين

---

(١) عقد المؤرخ بسيلليوس مقارنة بين الأختين فذكر أن الكبرى وهي زوى كانت الأسرع في تفهم المشكلات لكنها أبطأ في الكلام أما ثيودورا فقد كانت طليقة اللسان مع عدم القدرة على توضيح أفكارها، كانت زوى مثل أمواج البحر ترفع السفينة إلى أعلى ثم تغرقها مرة أخرى في الأعماق أما ثيودورا فقد كانت لديها نزعة هادئة بل مملة- على حد قوله- وكانت زوى مسرفة أما ثيودورا فلم تكن كذلك ثم يختم ذلك بقوله أن كلتاهما لم تكن مهيأة للحكم وإدارة البلاد انظر:

Psellus,OP.,Cit.,P.103

(٢) الواقع أن اشتراك زوي وثيودورا في الحكم كان هو الحالة الفريدة التي تتقاسم فيها إمرأتان الحكم الأوتوقراطى المطلق انظر:

Ostrogrosk,G.,OP.,Cit.,PP.296-299.

زوي وثيودورا بلغ الاختلاف بينهما في الطباع والسلوك والمشاعر حدًا كبيرًا فقد قيل أن ثيودورا لم تكن راضية عن سلوك أختها زوي وكانت دائمة الشجار معها، كما أن زوي كانت شديدة الغيرة من ثيودورا وأنها كانت تفضل معاملة ميخائيل السيئة لها عن مشاركة أختها لها في الحكم لدرجة أنها عند الاحتفال بتولى مقاليد الحكم، حجبت أختها ثيودورا وأصرت أن تكون لها الأسبقية وأجلستها خلفها، ورضيت ثيودورا أن تحتل المرتبة الأدنى من زوى التي كانت في المقدمة دائماً.

وبذلك حكمت الأختان الإمبراطورية البيزنطية ورغم أنهما كانتا الممثلتين الشرعيتين للأسرة المقدونية، إلا أنه كان يعوقهما عن مواصلة السهر على شئون الدولة أمرين: أولهما: كانتا في ذلك الوقت إمرأتين طاعنتين في السن وكان من الصعب عليهما توجيه الإمبراطورية إلى الطريق الصحيح، ولذلك فخلال فترة حكمهما القصيرة كانت الإمبراطورية عرضة لأطماع الكثيرين الذين باتوا يغتنمون أى فرصة للسيطرة على شئون الحكم أما الأمر الثاني: فكان هو العداوة المتأصلة بين الأختين، وما ترتب عليه من صراع بين الأحزاب المحيطة بهما، وهو الأمر الذي ألقى بظلاله على الإمبراطورية التي كانت في حاجة ماسة إلى وجود رجل قوي على رأس الدولة يسهر على مالية البلاد، ويحول دون تبديدها على النحو الذي دأبت عليه زوى، ويولي الجيش من الاهتمام ما يرد به أطماع الأعداء الذين أرادوا الإفادة من ضعف الدولة البيزنطية[١].

(١) Psellus,M.,OP.,Cit.,PP.116-117

في الحقيقة لم يكن هناك وفاق بين زوى وثيودورا وقيل أن زوى كانت شديدة الغيرة من أختها وحاولت أبعادها عن الحكم ولم توفق في ذلك وأنها اتفقت مع أحد رجال البلاط واسمه قسطنطين أرتوكلينى على الزواج لإبعاد أختها ثيودورا عن الحكم ولما علمت زوجته بذلك دست له السم فمات واشتدت العداوة بين الأختين حتى أصبح من الضروري العثور على رجل قوى ليتولى زمام الإمبراطورية،وفي ضوء هذه الاعتبارات، وبعد مرور شهرين فقط على اعتلائهما العرش معا تقرر تدبير خطط لزواج إحداهما، ولما كانت ثيودورا راهبة فقد رفضت بإصرار مبدأ الزواج، بينما لم تمانع اختها في أن تجرب حظها مع الرجال لمرة ثالثة، وهكذا قررت زوى ذات الخامسة والستين عاما أن تضع مصير الإمبراطورية في يد زوج آخر، وإزاء إعلانها رغبتها في الزواج توافد كبار رجال الإمبراطورية إلى بلاط زوي يعرضون عليها الزواج، وأخيرا وقع اختيارها على السناتور الوسيم قسطنطين مونوماخوس Constantine Monomachos فاتخذته زوجا لها في الحادي عشر من يونيه ١٠٤٢م/٤٣٣هـ، وفي اليوم التالي لزواجهما اعتلى العرش تحت اسم قسطنطين التاسع Constantine I X، الذي حكم بمشاركة زوى وثيودورا (١٠٤٢-١٠٥٥م/٤٣٣-٤٤٦هـ) [١].

(١) كان قسطنطين سكرتيرا للإمبراطور رومانوس الثالث –زوج زوى الأول– ونال إعجاب زوى ويقال أنها ارتبطت به بعلاقة غرامية في عهد رومانوس الثالث وميخائيل الرابع الذي أمر بنفي قسطنطين خارج العاصمة لأبعاده عن زوى، وجدير بالذكر أن البطريرك البيزنطي الكسيوس الأول الأستودى Alexius I Studite (١٠٢٥-١٠٤٣م/٤١٦-٤٣٥هـ) رفض أن تتخذ زوى زوجا للمرة الثالثة ولم يسمح بذلك إلا أن زوى أصرت على الزواج فكللها كاهن القصر ويدعى ستيبس Stypes في ١١ يونيو ١٠٤٢م/٤٣٤ برغم معارضة البطريرك الذي قام في اليوم التالى للزواج بتتويج قسطنطين امبراطورا بعد أن حصل على رشاوى مالية كبيرة انظر:

Psellus,Op.,Cit.,P.120.

وأصبحت زوي تلك المرأة التي لا تقهر مرة أخرى على رأس الإمبراطورية غير أنها لم تنفرد بالحكم وإنما شاركها فيها زوجها قسطنطين التاسع وأختها ثيودورا وأصبح على رأس الإمبراطورية ثلاث أباطرة يشتركون معا في الحكم، بل وسرعان ما انضم إليهم شريك رابع ألا وهي سكليرنيا(١). خليلة الإمبراطور قسنطنطين التاسع وهكذا جلس ثلاث نساء ورجل على العرش الإمبراطوري فكانت هذه حادثة فريدة وخطيرة لم يشهدها التاريخ البيزنطي قط، مما روع أهالي بيزنطة وصدمهم وقضي على هيبة الإمبراطورية، وأودى بحياة الأسرة المقدونية، وفي نفس الوقت ترك هذا الأمر الإمبراطورة زوي مشلولة الحركة، مقيدة الإرادة، خاصة بعد أن ارتفعت مكانة سكليرينا التي اتخذت ألقابا كثيرة منها لقب أوجستاAugusta ولقب سبسطة Sebaste واتخذت مكانها بجوار زوي في كل المراسم والاحتفالات والمواكب والمجالس.

ولم تجد الإمبراطورة زوي بدا من الاستسلام للأمر الواقع فلقد واجهت كثيرا من المتاعب والمشاكل والاضطرابات التي عصفت بها طيلة حياتها كما أنها تقدمت بها السن كثيرا فلم تشأ زوي التي صدمت بهذه العلاقة أن تنتقم لنفسها خوفا من أن تعيد إلى ذاكرة الجماهير سيرتها الأولى وجريمتها البشعة مع زوجها

(١) هي ماريا سكليرينا ابنة أخت زوجته الثانية الراحلة واسمها سكليرينا أيضا، واتصفت بالجمال والحكمة وكانت قد لازمت قسطنطين في منفاه وكانت بمثابة المستشار السياسي للإمبراطور ولكنها لم تحظى بحب الشعب وقامت ضدها ثورة عارمة وأصيبت بالتهاب رئوى توفيت على أثره سنة ١٠٤٤م/٤٣٦هـ انظر أيضا:

Pselluse,Op.,Cit.PP.139-140

الأول، وهكذا أصبح الحكم من الناحية الفعلية رباعيا يتكون من الأختين زوي وثيودورا والإمبراطور قسطنطين التاسع وعشيقته سكليرينا

أما ثيودورا فقد انزوت للصلاة والتعبد في جناحها الخاص بها، بينما شغلت زوي نفسها بهواية صناعة العطور، وانشغلت العشيقة بجمع الأموال والحلي والجواهر، وانصرف الإمبراطور إلى لهوه ومجونه وسماره[١].،وترك الأباطرة الأربعة الإمبراطورية في مهب الرياح، ورأي العامة أن الفضيحة قد تجاوزت الحدود، وأن الإمبراطورية تتعرض للخطر، فوقعت ثورة في ٦ مارس عام ١٠٤٤م /٤٣٩هـ كادت تودي بسلطة الإمبراطور، ولم ينقذ الموقف إلا موت سكليرينا في الوقت المناسب عام ١٠٤٤م عقب اندلاع هذه الثورة، إلا أن موتها لم يغير من الأمر شيئا، إذ حلت محلها أميرة آلانية[٢]. حسناء اتخذت أيضا لقب

(١) لم يكن لدى قسطنطين تصور واضح لطبيعة الحكم لقد فشل في تحقيق الرفاهية لرعاياه فقد كانت ممارسة السلطة بالنسبة له تعنى الراحة وإشباع رغباته فأختار حياة اللذة والمتعة ولم تعد زوى تشعر بالغيرة أما ثيودورا فلم تكن راضيه انظر:

Psellus,Op.,Cit.,P.135

(٢) هي إيريني توفيت عام ١١٠٨ م/٥٠٢هـ وهي ابنة أمير جورجيا ديمتريوس Demetrius وكانت فتاة صغيرة زارت القصر الإمبراطورى فوقع الإمبراطور في غرامها وشغف بها بشدة ولكنه أخفى علاقته بها في البداية وعندما توفيت زوى أعلن رسميا علاقته بالأميرة الصغيرة وحاول أن يتزوجها بالفعل لولا معارضة البطريرك ورفض ثيودورا ولكن قسطنطين أطلق عليها لقب أوجستا وعاملها كما لو كانت إمبراطورة وغمرها بالذهب والمجوهرات انظر

Psellus,Op.,Cit.,P177

"أوجستا Augusta، وبقى الإمبراطور يلهو والإمبراطورية تحتضر، وأصبح هذا الحكم الرباعي المشترك وبالا على الإمبراطورية في الداخل والخارج، فنشبت العديد من الثورات في آسيا الصغرى، وشبه جزيرة البلقان، وتعرضت حدود الإمبراطورية لخطر الأتراك السلاجقة(١).

وتمتعت زوي وثيودورا مع الإمبراطور والعشيقة بتبديد الأموال العامة وخير دليل على إسراف ذلك الإمبراطور وشريكته تلك الهدية التي أرسلها الأمبراطور إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (١٠٣٦-١٠٩٤م/٤٢٧-٤٨٧هـ) سنة ٤٣٧/١٠٤٢هـ والتي كان من بينها ثلاثون قنطارا من الذهب، ومائة صندوق مليئة بالجواهر بالإضافة إلى أواني الذهب والفضة، وقطع الديباج والسندس(٢).

وبعد اتخاذه عشيقة جديدة، هجر الإمبراطور رومانوس التاسع زوجته زوي تماما وأقام في جناح خليلته الآلانية الحسناء وأنفق عليها ببذخ وإسراف مبددا ثروات الإمبراطورية بل أنه حاول أن يتزوجها لولا معارضة الكنيسة حيث قانون الزواج الروماني يمنع زواج الإمبراطور للمرة الرابعة، فقد كان متزوجا قبل زوي مرتين، وبالرغم من ذلك كان يقدمها دائما إلى الحضور بصفتها زوجته كما يشهد بذلك المؤرخ المعاصر بسيلليوس(٣).

---

(1) Psellus,Op.,Cit.,PP.142-165

أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة د. مصطفى طه بدر، ص١٩٣-١٩٤؛ السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص٧٤٤-٧٥١.

(٢) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، دار الكتتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ج٢، ص١٩٤

(٣) Psellus,M.Op.,Cit.,P.135.

أما الإمبراطورة زوي فكانت كلما تقدمت بها السن كلما ابتعدت عن الحياة العامة، فلم تعد تشغل - بالها كثيرا - بالأمور التي تحدث في القصر، بالرغم أن قسطنطين لم يحاول أن يضع أي نوع من القيود عليها أو يحرمها من الامتيازات التي كانت تتمتع بها، وتخلت عن شخصيتها السابقة التي كانت تتصف بالإنحلال والشهوانية والعبث، فأصبحت أكثر تسامحا وأكثر تدينا وبدأت تنفق أموالها في الأعمال الخيرية، محاولة إظهار التوبة والندم وارتدت ثياب الزهد والورع وخلعت عنها الثياب المرصعة بالجواهر والألماس وابتعدت عن كل مغريات الحياة التي كانت تجتذبها في الماضي، وزهدت الطعام والشراب حتى نحل جسدها وأصيب بالشلل الرعاش في أواخر أيامها، وتوفيت في يوم ٢٦ مايو ١٠٥٠م/٤٤٢هـ عن عمر يناهز اثنين وسبعين عاما بعد مرض قصير دون أن تنجب أطفالا، وودعت بذلك حياتها الأسطورية، واحتشد الجميع لتوديع جثمانها وفي مقدمتهم الإمبراطور قسطنطين(١).

بعد موت زوي لم يبق من سلالة الأسرة المقدونية سوى أختها العجوز ثيودورا والتي كانت وقتذاك في السبعين من عمرها، وعرض عليها رجال البلاط أن تتزوج من الإمبراطور الأرمل ولكنها رفضت لتمسكها برهبانيتها وانقطاعها للعبادة، ولهذا حقد عليها الإمبراطور قسطنطين التاسع واضطهدها وطردها من القصر، لأنه كان يعتبر رفضها الزواج منه معناه طرده من منصبه، إذ لم يكن له الحق في البقاء على العرش بعد وفاة زوجته زوي، في ظل وجود ثيودورا صاحبة الحق الشرعي في وراثة العرش غير أن قسطنطين لم يشأ أن يعترف بحق ثيودورا في وراثة العرش، فطردها وأعلن أنه يحكم البلاد باسمه فقط، وبقى الإمبراطور

(1)Psellus,PP.178-184, Cam,Med,Vol, 1V, P.259.

الضعيف وحده يعربد في القصر، تاركا الإمبراطورية لقدرها حتى سخر منه شعب القسطنطينية وأطلقوا عليه لقبا ساخرا هو Monomachos أي" المحارب مع نفسه"(١).

وفي زحمة هذه الظروف وقع حدث خطير كان له أكبر الأثر في التاريخ البيزنطي وفي تاريخ العلاقات بين العالمين اللاتيني والإغريقي وفي تاريخ المسيحية كلها ونعنى بذلك القطيعة الدينية الكبرى أو الانشقاق الديني العظيم بين كنيستي روما والقسطنطينية سنة ١٠٥٤م/٤٤٦هـ(٢).

فقد انتهز بطريرك القسطنطينية وقتئذاك ميخائيل كيرولاريوس Michael Carularius (١٠٣٤-١٠٥٨م/٤٣٥-٤٥٠هـ) ظروف الخلاف بين الإمبراطور قسطنطين التاسع وثيودورا وأخذ يسعى أن يكون إمبراطورا وبطريقا تشبها ببابا روما، وأن يصبح له من المركز والنفوذ ما لا يقل عن زميله في الغرب، واختار كيرولاريوس أواخر أيام قسطنطين التاسع ليقوم بحركته هذه فكان هذا مما زاد الطين بلة، والأمور تفاقما، غير أن الإمبراطور قسطنطين التاسع بادل البطريرك الكراهية وتشبث بالعرش، وبدأ الموقف كما لو كان بداية صراع طويل بين الدولة والكنيسة ورغم أن القطيعة الكبرى جعلت بطريرك القسطنطينية مستقلا تماما إلا أنها كانت ذات نتائج خطيرة لأنها قضت على احتمالات حدوث أي تفاهم سياسي في المستقبل بين الدولة البيزنطية والغرب اللاتيني، كما أن هذه القطيعة أدت إلى

---

(١) سيد الناصري: المرجع السابق، ص٣٥٥.

Vasilieve,A.,A.,Op.,Cit.,Vol,1,PP.337-341;Camb,Med,Hist.,Vol.,17,PP.257-259..

(2) Ostrogrosky,,p.297;Vasilieve,P.334.

نهاية مشئومة للأسرة المقدونية في وقت كانت فيه الدولة البيزنطية في أشد الحاجة لمساعدة الغرب الأوروبي خاصة في الوقت الذي اقترب فيه خطر الأتراك السلاجقة من الدولة البيزنطية، كما ترتب على هذه القطيعة ضياع جنوب إيطاليا من بيزنطة بعد أن قرر البابا الاعتراف بزعيم النورمان روبرت جويسكارد أميرا(١).

وهكذا عجل البطريرك الطموح ميخائيل كيرولاريوس بحدوث ذلك الصراع الخطير والقطيعة الدينية مع الغرب، مستغلا ضعف الإمبراطور قسطنطين التاسع، وكانت هناك مواجهة متوقعة وصدام وشيك بين البطريرك والإمبراطور لولا وفاة الأخير في ١١ يناير ١٠٥٥م/٤٤٦هـ بعد أن حكم الإمبراطورية أثني عشر عاما(٢).

وبوفاة قسطنطين التاسع نودي بالعقب الوحيد الباقي في الأسرة المقدونية ثيودورا الابنة الصغرى لقسطنطين الثامن، وكانت إذا ذاك عجوزا في السبعين من عمرها، ورأى البطريرك ميخائيل كيرولاريوس أن تتزوج فتشرك معها في الحكم من كان أهلا لذلك، غير أنها رفضت فقد كانت تخشى أن تلقى من المشاكل وتواجه من المؤامرات والدسائس ما لقتيه أختها ذات الأزواج الثلاثة، بالإضافة إلى تحريض رجال البلاط لها بعدم الزواج حرصا على إبقاء السلطة في أيدهم(٣)، ويبدو أنها لم تكن من أسوأ حكام بيزنطة، وقد اكسبتها فضائلها احتراما بين

---

(1) Chalandoon F.,Domination Normandeen Italie, PP.113-115.

أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة د. مصطفى طه بدر، ص١٩٣-١٩٤؛ السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص٧٤٤-٧٥١

(٢) Psellus,M.,Op.,Cit.,P.196.

(٣) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٤؛ سيد الناصري: المرجع السابق، ص١٩٤.

الناس والعامة ويبدو أنهم عندما رأو أنها آخر من تبقى من أفراد بيتها، وأنه بزوالها يمكن أن تتعرض الإمبراطورية لخطر الاضطرابات التي تصحب النزاع على العرش عادة،، لذا فقد صبروا وتركوا آخر أيام الأسرة المقدونية تمر بسلام(١).

وانفردت ثيودورا وحدها بحكم الإمبراطورية ومارست السلطة كاملة فاستقبلت السفراء(٢) وسنت القوانين ونشرت العدل وتخلصت من مستشاري قسطنطين التاسع وقدر لها أن تقوم بدور هام في نهاية الأسرة المقدونية، ولم يستمر حكم ثيودورا أكثر من ثمانية عشر شهرا نعمت فيها الإمبراطورية بسلام،

(١) ثيودورا آخر أميرات الأسرة المقدونية اللاتي ولدن في الأرجوان" يقول عنها القلقشندى: لم تكن كبرى بنات قسطنطين هي التي ملكها الروم عليهم انظر: القلقشندى: صبح الأعشى،ج٥، ص٤٠٠.

(٢) كانت هناك مراسلات بين ثيودورا والخليفة الفاطمي المستنصر بالله والذي كان قد أرسل إلى الإمبراطور قسطنطين التاسع على أثر المجاعة التي حلت بمصر سنة ١٠٥٤م/٤٤٦هـ يطلب منه أن يمده بأربعمائة ألف أردب من القمح فأظهر الإمبراطور استعداده لإجابة هذا الطلب إلا أنه لم يلبث بعد وفاته أن رفضت الإمبراطورة ثيودورا طلبه واشترطت لمعونة مصر أن يمدها الخليفة المستنصر بالله بأعداد من الجنود المرتزقة ومساندتها في حالة الاعتداء على بلادها فرفض المستنصر بالله هذا الشرط فأجابته ثيودورا رفضها إرسال الغلال إلى مصر وأراد المستنصر بالله الثآر للفاطميين فأرسل جيشا لمحاربة البيزنطيين بقيادة مكين الدولة الحسن بن مسلم فأرسلت ثيودورا أسطولا إلى أنطاكية وأوقعت الهزيمة بالمسلمين وأسر عدد كبير منهم وأرسل الخليفة المستنصر سفارة من قبله إلى الإمبراطورة ثيودورا سنة (١٠٥٥م/٤٤٧هـ) على رأسها أبو عبد الله القضاعى انظر: ابن ميسر: أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،ج٣، حوادث سنة ٤٤٧هـ، المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٠.

ولم تتعرض لأي ثورات أو حروب، كما أنها قاومت محاولات البطريرك ميخائيل كيرولاريوس للوثوب على العرش، وأنكرت أعماله، وأظهرت فضائحه وشهرت به[١]، وأظهرت الإمبراطورة صلابة واستطاعت أن تكبح جماح الحزب العسكري وقامت بمحاولات جادة لإدارة دفة الحكم، حقيقة أنها لم تتخذ زوجا، ولكنها اختارت ليوباراسبونديوس LeoparasPondus وزيرا لها، وكان واقعيا عنيدا ذو عمل جاد متواصل فافتتح سياسية اقتصادية في الداخل وعمل على إقرار السلام في الخارج[٢].

وبينما كانت ثيودورا تلفظ أنفاسها الأخيرة طلب منها رجال البلاط أن تختار من يخلفها، وجاء اختيارها لرجل ورع ومسن ينتمي إلى إحدى الأسر التي جاء منها عدد كبير من بطاركة الكنيسة وهو ميخائيل ستراتيكوس أو ميخائيل المتعسكر (١٠٥٦-١٠٥٧ م/٤٤٨-٤٤٩هـ).

وبوفاة ثيودورا في أغسطس من عام ١٠٥٦م/٤٤٨هـ في السادسة والسبعين من عمرها[٣] طويت فترة حكم الإمبراطورتين زوي وثيودورا التي مثلت الحكم النسائي الإمبراطوري المشترك أول وآخر مرة في التاريخ البيزنطي،

---

(١) كان البطريرك ميخائيل كيرولاريوس منزعجا لجلوس امرأة على عرش بيزنطة وكانت ثيودورا تكرهه بسبب أطماعه، وفكر ميخائيل جديا في الإطاحة بثيودورا والمطالبة بالعرش الإمبراطوري لنفسه، وكانت الكراهية متبادلة بين البطريرك وثيودورا التي رفضت استقباله وخططت لعزله من منصبه لولا وفاتها في أغسطس ١٠٥٦م/٤٤٨هـ

(٢) بينز (نورمان): الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٦٤.

(3)Pselluis,M.,Op.,Cit.,P.205.

وباعتلاء ميخائيل ستراتيكوس العرش الإمبراطوري يبدأ عهد الاضطراب في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية(١).

ففي اللحظة التي اختفت فيها ثيودورا آخر أفراد الأسرة المقدونية بدت عوامل الشقاق حرة غير مقيدة بقيد وبدأ شبح الحرب الأهلية، والغزو الخارجي يقلق بال الإمبراطورية وكانت الاضطرابات الداخلية هي النتيجة الأولى والحتمية لزوال الأسرة المقدونية فقد شهدت البلاد اضطرابات قطعت أوصال الإمبراطورية ومزقتها شر ممزق وانتهت باعتلاء إسحاق كومنين عرش الإمبراطورية ليؤسس أسرة جديدة، وبعزل ميخائيل ستراتيكوس عن العرش وتنصيب إسحق كومنين (١٠٥٧-١٠٥٩م/٤٤٩-٤٥٤هـ)) يكون قد انتهى الأثر الأخير من تاريخ البيت المقدوني، وبدأت صفحة جديدة من تاريخ الدولة البيزنطية(٢).

والواقع أن زوي تعتبر المسئولة الأولى عما لحق بالإمبراطورية من فساد وانهيار فباعتبارها حفيدة ثيوفانو وورومانوس الثاني وابنة قسطنطين الثامن فقد انصرفت إلى اللهو والمجون، وورثت من صفات القلق والاضطراب ما جعل حياتها تنزع إلى المغامرة، ونظرا لأن حياتها الزوجية لم تعمر طويلا، فإنها كانت دائما تنشد العزاء والسلوى، فتعاقب على الزواج منها ثلاثة أزواج هم رومانوس

(١) علية عبد السميع الجنزوي: المرجع السابق، ص١٢٤؛السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص٧٧٠؛ حسين ربيع: دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٦٦-١٦٨.

(٢) جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ١٩٤٨، ص١٩٢.

أرجيروس (١٠٢٨-١٠٣٤م) وميخائيل الرابع البلافاجوني (١٠٣٤-١٠٤١م) ثم قسطنطين التاسع مونوماكوس (١٠٤١-١٠٥٦م)، وجعلت زوي السلطة العليا في أيدي هؤلاء الأباطرة، غير أنه كلما جرى صدام بينها وبين أحد أزواجها تآمرت ضده وتخلصت منه، فأوقعت البلاد في الفتن والمؤامرات واضطربت العاصمة، فكان ذلك إيذانا بإنهيار الدولة البيزنطية، والقضاء على الأسرة المقدونية ولو أن زوي سلكت طريقا غير هذا لتغير وجه التاريخ البيزنطي تماما.

وفي الحقيقة لقد دخلت الإمبراطورية البيزنطية عقب وفاة بازيل الثاني سنة ١٠٢٥م/٤١٨هـ فترة سادها اضطراب ومشكلات ومخاطر كثيرة[١]،كان السبب الأول فيها سيادة حكم النساء الذين سلموا السلطة إلى أباطرة ضعاف، وأنه رغما من الأخطار الحقيقية التي هددت الإمبراطورية البيزنطية، فإنه كان يكفي – مع كل هذا – لتعزيز هيبة الحكومة وسلطتها وجود حكام قادرين على ارساء قواعد وتقاليد وأسس سياسية متينة، ولكن شاء سوء الحظ أن وجدت أباطرة من النساء، و حكام غير أكفاء مهملين، فكان هذا نقطة البداية نحو الانهيار.

ففي الوقت الذي عاشت فيه جماهير بيزنطة طوال ثلاثين عاما (١٠٢٥-١٠٥٦م/٤١٥-٤٤٨هـ) محافظة على ولائها وإخلاصها للبيت المقدوني، تنازلت ابنتا قسطنطين الثامن زوي وثيودورا عن السلطة كلها إلى سلسلة من الحكام الضعاف، متوسطي الشأن، ووضعتا مقاليد الحكم والإدارة في بيزنطة، ووظائف الدولة ومسئولياتها في يد فئات من المغامرين وخليلات وعشيقات الأباطرة، مم ترك أثره على الجيش البيزنطي الذي انتابه الضعف والانحلال، وامتلأ حزب البلاط بالمؤامرات والدسائس لبقاء السلطة في أيديهم تحقيقا لمصالحهم

(١) السيد الباز العرينى: المرجع السابق، ص٨٢٢

ورغباتهم[١]،بالإضافة إلى ما حدث من تغييرات اجتماعية واقتصادية هزت المجتمع البيزنطي، وما تعرضت له بيزنطة من أخطار خارجية من النورمان والبشناق والسلاجقة وغيرهم وعمت الفوضى وقامت الثورات تلو الثورات وهكذا تعرضت الإمبراطورية للغزو والإرهاق والفوضى، وأصبحت تصرخ طالبة منقذا لها ليضع حدا للفوضى التي استمرت ثلاثين عاما[٢].

وفي الحقيقة لقد انتهت الأسرة المقدونية فعليا بموت بازل الثاني عام ١٠٢٥م/٤١٥هـ وبموته بدأ العد التنازلي لسقوط الإمبراطورية، فقد بدأت بوادر الشيخوخة تظهر بسرعة على كافة الأحوال فيها وبدء الطالع في سمائها ينذر باقتراب نهايتها، خاصة بعد أن آل الحكم إلى كل من زوى وثيودورا ابنتي الإمبراطور قسطنطين الثامن، واللاتي سلمن مقاليد السلطة إلى عدد كبير من الأباطرة الضعاف، وخيم على الإمبراطورية جو من التآمر والتطاحن والصراع على السلطة، وتقهقرت بيزنطة في كل الميادين وران عليها ضعف وإضمحلال، فلما انقرض البيت المقدوني بوفاة ثيودورا ازداد ضعف الإمبراطورية البيزنطية واضمحلت أحوالها على مدى نحو ربع قرن من الزمان حتى سنة ١٠٨١م/٥٧١هـ حتى غدت هذه الفترة من أكثر فترات التاريخ البيزنطي ضعفا وأدت في النهاية إلى استنجاد بيزنطة بالغرب الأوروبي الذي نهض بعد ذلك بالحركة الصليبية أواخر القرن الحادي عشر الميلادي.

---

(١) جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص١٩٧

(٢) عمر كمال توفيق: المرجع السابق، ص١٣١-١٣٢؛سيد الناصرى: المرجع السابق، ص٣٥٧-٣٥٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأصلية الأوروبية:

-Anna Commena

The Alexiad Of Anna Commena (Trans by E.R.A. Setwer1969).

ولقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان الألكسياد، ترجمة د. حسن حبشي، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

-Cedrenus:

Historiarum Conpendium,in P.G.T,121 Col.959(Belguim).

-Cenessius:

Regnna (ed.Lachmann,1834).

-Kinamos J.,

deeds of John and Manuel Comnenos,Trans.t Brand., New York1976.

-Leo Grammaticus:

Chronogaphia,(Bonn,1842)

-Leonis Diaconus:

Historia, LeberC.S.H.B.Bonn1828.

-Monachus:

Viate Recentiorum imperatorum C.S.H.B. ed.Bekker Bonn 1838.

-Niketas Choniates:

The Annals Of Niketas Choniates,Beging With The Reign Of John Commenos and Ending With Full Of Constantinople,Trans.,by H.,G.,Magoulias,Detroit1984.

-Procopiuss:

De bello Vandalico,English trans.by Dewing.

De bello Persico C.S.H.B.Vol,I,Bonn1833.

-Psellus Michsel:

Psellus,M..,FourteenByzantineRuulers,TheChronographia,Trans., By .R.,Sewter New York Penguine, 1966,pp Chronographia (trans.from the Geek by Sewter).

-Scylitzes:

Snoposis Historarum,ed.Boor Leipzing1904.

-Theophanes:

Chronographia,ed.de Boor,Leipzig1883,ed.Bonn Chavannne.

-Theophanes Continuatus:

Historia in C.S.H.B.,Bonn 1838.

-Zanaras:

Epitome Historiarum, ed.Pender and Buttner-Wobst,Boon 1841-97.

ثانياً: المصادر الأصلية العربية:

- ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) أبو الحسن على أبي الكرم الملقب بعز الدين:

١-الكامل في التاريخ، ١٢ج، مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٩٠

٢-التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة ١٣٨٢/١٩٦٣

- ابن أبيك (ت ١٣٢٣/٧٣٢) أبو بكر بن عبد الله:

١-الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، ج٦، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م، ١٣٨٠.

- ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف

١-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ج، طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٨/١٩٢٩.

-ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر:

١-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ج، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨-١٩٧٢.

- ابن الشحنة (ت٧٩٠هـ/١٤٨٥م) أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي:

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، علق على حواشية يوسف ابن إليان سيركس، مطبعة الآباء اليسوعيين، دمشق، بيروت، ١٩٠٩.

-ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن أبي جرادة.

- زبدة الحلب في تاريخ حلب، ٣ج، تحقيق سامي الدهان، دمشق ١٩٥١-١٣٧٠/١٩٥٤-١٣٧٤م.

-ابن ميسر (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨) محمد على بن يوسف بن شاهنشاه:

أخبار مصر، جزءان، نشرة هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمى الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩١٩م.

-أبو شامة (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن شهاب الدين

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية، ٢ج، الجزء الأول، تحقيق د. مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٧م/١٣٧٦هـ.

-القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله:

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ٤ج، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٨.

المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تقى الدين أحمد بن على المقريزى:

١. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق د. جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م/١٣٦٧هـ.
٢. أغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق من مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٧م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية الثانوية:

-Baynes,N.H.,The Byzantine Eempire,London,1926.

-Brand.,C,M.,

-The Byzantine and Saladin in 1185-1192.,in Speclum,Vol.,37.,America 1962

-The Fourth Crusade, 1948.

-Brehier,L;

LeVie et Mort de Byzance., paris.1947

-Bury,J.,B.,

1-A History of the Later Roman Empire, 2Vols., London1923.

2-A History the Eastern Roman Empire, London1912.

-Cantor,N.F.,

1-The Medieval World (300-1300) Second Edition 1968.

2-Medieval History, New York1964.

-Diehl,C.,

1-Constantinople,Paris1924.

2-History of the Byzantine Empire, New York1945.

-Gibbon,E.,

The History of the Decline and the fall of the Roman Empire,Oxford1929

-Grousset,R.,

L,Empire de Levant paris1949.

-Hussey,G.,

The Byzantine World,London1967.

Ostrogrosky,G.,

History of the ByzantineStates,trans.,byj.,Hussey,Oxford1956.

-Riec,C.T.,The Byzatine,London1962.

-Runciman,S.,

Byzantine Civilization, London1933.

-Vasilieve,A.A.,

History of the Byzantine Empire 324-

1453,2Vols.,U.S.A.,1973

رابعاً: المراجع العربية الثانوية:

- أسد رستم: الروم في سياستهم وحضاراتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠١٧م.

- جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية (٢٨٤-١٤٥٣م)، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ١٩٨٢.

- حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٣م.

- سيد أحمد الناصرى: الروم وحضارتهم وعلاقاتهم بالمشرق العربي، القاهرة، ١٩٩٣م.

- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠م.

- عبد القادر أحمد اليوسف: الإمبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٦٦م.

- علية عبد السميع الجنزوى: المرأة في الحضارة البيزنطية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٢م.

- عمر كمال توفيق: الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٦٧م.

- محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

- محمود سعيد عمران: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة، بيروت، ٢٠٠١م.

- وسام عبد العزيز فرج: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

خامساً: المراجع المعربة

- أرشيبالد (لويس): القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، ومراجعة غربال، القاهرة، ١٩٦٠م.

- أومان (سيرشارل): الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة، ١٩٥٣م.

- بينز (نومان): الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين ومؤنس ومحمود زايد، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٠م.

- رانسيمان (ستيفن): الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد، ومراجعة زكى بدر، القاهرة، ١٩٦١م.

- فازيليف: العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة.

- هسي: (جوان): العالم البيزنطي، ترجمة وتعليق د. رأفت عبد الحميد، القاهرة، ١٩٧٧م.